ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:08، العدد:01 (2024)، ص546 - 558

التنكيت والمواقف الطريفة في أدبيات الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م

Humour and Humorous situations in the works of the National Movement and the 1954 1st November Revolution

عبد القادر خليفي
جامعة المسيلة (الجزائر)
abdelkader.khelifi@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/03/26
تاريخ القبول:
2024/05/01

الكلمات المفتاحية:
- ✓ التنكيت
- ✓ المواقف الطريفة
- ✓ المهام الثورية
- ✓ جبهة التحرير الوطني

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى رصد بعض المواقف الطريفة، وجوانب التنكيت والفكاهة التي وردت في أدبيات الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، وعكست جانبا من تفاعلات المناضلين والقادة مع مختلف التطورات والأحداث، التي أفرزتها ممارساتهم النضالية وأنشطتهم الثورية، وقد كشفت عن المشاعر الإنسانية التي تحلى بها هؤلاء، وهي ولا شك، تحتاج إلى تسليط الأضواء الكاشفة، باعتبارها رافدا يعرض في النهاية الصورة الكاملة للجزائري الإنسان والمقاوم.

Article info

Received:
26/03/2024
Accepted:
01/05/2024

Key words:
- ✓ Humour
- ✓ Humorous situations
- ✓ Revolutionary tasks
- ✓ National Liberation Front

Abstract:

The aim of this article is to present some funny situations, jokes and humour in the works of the National Movement and the 1st November Revolution. These situations reflect the interactions of militants and leaders with the various events that emerged from their militant practices and revolutionary activities, revealing the human feelings they possessed and which must undoubtedly be highlighted as a resource that ultimately presents a complete picture of the Algerian fighter and human being

مقدمة

في الواقع، لقد جلب انتباهنا في سياق تجربتنا البحثية المتواضعة التي أفردنا حيزا هاما منها لبعض قضايا الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، وأيضا من خلال تدريسنا لباقة من المواد ذات العلاقة بتلك الملحمة التحررية المتميزة التي خاضها الشعب الجزائري، ببعديها السلمي والعنيف ضد الكولونيالية، موضوع المواقف الطريفة وظاهرة التنكيت التي رافقت المناضلين والقادة في يومياتهم وأنشطتهم الميدانية، وقام بعضهم برصد قطوف منها في ثنايا مؤلفاتهم ومذكراتهم، الأمر الذي حفّزنا لعرضها ضمن هذه المعالجة البسيطة، التي نعتقد أنها الأولى من نوعها في هذا الباب، وبشروعنا في جمع مادة هذه الورقة، سجلنا شحا لافتا في مظان ما توفر لنا من تلك الأعمال، كما أن عمليات الإبحار التي قمنا بها عبر فضاء الشبكة العنكبوتية لمسح المادة التاريخية المنشورة لم تسفر عن شيء ذا بال، حيث لم نعثر على أية دراسات أو كتابات تناولت هذا الجانب، وهو أمر مثير للغرابة حقا، غير أن إصرارنا على بعث هذا العمل كان أقوى، فاكتفينا في هذه المرحلة بما تم رصده، آملين أن تكون خطوتنا محفزا للباحثين الجادّين للخوض في هذا الرواق، واستخراج وبث ما لم نتمكن من الإتيان به.

سنحاول الوقوف على مفهوم النكتة، وإبراز طبيعة المواقف الطريفة التي واجهت بعضا من الشخصيات الوطنية، والأصداء التي تركتها، ذلك أن تلك المواقف حتى وإن كانت لا تتطابق مع الخصائص الفنية للنكتة وأغراضها، لكنها قد أفرزت في النهاية ضحكا ومرحا، ومثّلت حالة تنفيس للوضعيات الحرجة أو الضاغطة التي واجهت هؤلاء، مع التنويه إلى أن طبيعة العمل المعالج، اقتضت منا ضخ فقرات كاملة مما أورده أصحابها للحفاظ على روح وأصالة ما كتب، ذلك أن إعادة صياغة المزحة أو الموقف الطريف بلغة غير التي جاء بها قد يفقده التأثير الفكاهي المطلوب، كما أن الشق التحليلي قد لا يكون حاضرا إلا في المواطن التي تستدعي ذلك، فهدفنا في النهاية يتعلق بجمع هذه المواقف، التي تمثل الوجه الآخر للمناضل والقائد، وتكشف نوعية المشاعر الإنسانية التي أحاطت بهؤلاء الأبطال، الذين حظيت أدوارهم السياسية والعسكرية وإسهاماتهم الفكرية بالكثير من الدراسات والبحوث.

ولعلّ من بين التساؤلات التي نستطيع إثارتها هنا: **هل كان خلو سرديات الكثير من القادة من إيراد هذه المواقف يعبّر عن غيابها الفعلي في يومياتهم؟ هل الأمر يتعلق بطابع الصرامة والانضباط في القول والفعل الذي تربى عليه جيل المناضلين؟ وهل حقيقة أن إثارة الفكاهة والطرائف تفقد الرجل هيبته؟ ماذا نقرأ في النزر اليسير الذي جادت به بعض الأقلام؟**

1. في مفهوم النكتة ودلالاتها

يشير تفحص القواميس اللغوية والكتابات التي حملت في مظانها المصطلح إلى تعدد المعاني التي يحيل إليها، مع تغير دلالاته عبر الزمان، فقد ورد بمعنى الضرب على الأرض بأداة حديدية أو خشبية أو

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

حصى، كما جاء بمفهوم الاستهزاء أي الطعن في الناس، وأن مفهوم النكتة لم يكن إلى حدود القرن التاسع الميلادي كما هو اليوم بمعنى الفكاهة والضحك[1].

والحقيقة، أن العرب قد عرفوا الفكاهة منذ العصر الجاهلي، حيث كانوا يتحلّقون لاسيما في أوقات سمرهم حول من يقص عليهم النوادر والمضحكات، وبمجيء الإسلام لم يمانع ولم يقف في وجه الدعابة اللطيفة والمزاح الملتزم، وقد تضمنت المصادر المؤرخة لسيرة الرسول ﷺ أنه كان يمازح ويلاطف أصحابه، ومن الأحاديث المروية عنه قوله: "**إني لأمزح ولا أقول إلا حقا** "[2]، وظهرت على امتداد عصور الحضارة العربية الإسلامية الكثير من المؤلفات التي تصدت بالعرض والتمثيل لفن الفكاهة والمزاح وما يصب في وعائهما، مع تبيان كيفيات إطلاقهما والفوائد والأضرار المترتبة على الإفراط في استخدامهما، فمن الذين اشتهروا في هذا المجال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الذي أشار في كتابه "**البخلاء**" إلى فوائد الضحك الجسمية والنفسية بالقول: "**فالهزل جمام للقلوب، وراحة للأبدان، وعون على معاودة الأعمال**" [3].

ذهب أحد الباحثين إلى أن الحوليات التاريخية العربية المعاصرة تخلو من أي نصّ ضاحك يرسم الابتسامة على شفاه القارئ، لأن الخطاب الطاغي فيها قائم على مفردات الرهبة والعنف عند معالجة قضايا الكفاح والمواجهة، بما في ذلك النصوص التي تناولت أخبار السفارات والمعاهدات والتي هي في جوهرها عملا سلميا، حيث غرقت في طابع الجدية[4]، وهو حكم يحتاج طبعا إلى مناقشة وبيان، إلا أن الخوض فيه، ليس ضمن الحدود التي رسمناها لهذه الورقة.

إن الواقع التاريخي يثبت أن الضحك سلوك عمّ الجميع حاكمين ومحكومين، وأن النصائح التي تلقاها السلاطين والملوك والقادة من كتّاب الآداب السلطانية بتجنب هذا الفعل لكونه مدعاة للتنقيص من هيبتهم، لم تجد في الأغلب طريقها إلى الالتزام، حيث أوردت المدونات صورا عديدة عن ضحك الملوك والأمراء[5] على نحو تجاوز تلك البروتوكولات المقيّدة في العادة لتصرفاتهم وحركاتهم.

2. مواقف طريفة زمن النضال السياسي للحركة الوطنية

يروي مالك بن نبي (1905-1973م) في سياق وصفه للواقع الاجتماعي والسياسي بمدينة تبسة في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين، بأن الانحلال قد أخذ يتسرب إلى المجتمع، وأن المشهد السياسي والتمثيلي قد توزع بين زعامتين، شخصية عباس بن حمانة الذي يتمتع بالاستقلالية التنظيمية وشخصية بن علاوة المحسوب على الإدارة، وفي تقديره، فإن الأول كان بالشرق يعادل مكانة ابن رحال بالغرب الجزائري، ومن المواقف التي رصدت لابن حمانة بمناسبة مشاركته في الوفد الجزائري الذي زار العاصمة الفرنسية عام 1912م حاملا عريضة مطالب للسلطات الفرنسية، أنه قد رجع من باريس متوجا بوسام الاستحقاق الزراعي، الأمر الذي أثار فضول البعض، فكان هذا الموقف الطريف: "**وقد خلّف عباس بن حمانة وراءه في باريس أثرا طريفا، بالطبع لم يمنحه الفرنسيون الحقوق التي جاء يطلبها لبلاده، إلا أنهم على كل حال منحوه وسام**

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الاستحقاق الزراعي، وحين سأله فيما بعد أحد الأوروبيين في الجزائر مازحا: ماذا زرعت حتى تنال هذا الوسام؟ فأجاب: لقد زرعت نفوذا في باريس" [6]**!**

تضمنت مذكرات القيادي حسين آيت أحمد (1926-2015م) بعضا من يومياته زمن الطفولة فقد تحدث عن هجرانه المدرسة لمدة أسبوعين، وما حصل له بعد علم والده بالوقائع، حيث كتب الآتي: "**لم يكن أبي إنسانا متسلطا، ولم يكن يستسهل الصفع، لم يضربن إلا مرة واحدة غير أنها كانت طريحة رسخت في الذاكرة، وكانت دون شك في حجم الفعل الذي اقترفته، أسبوعان كاملان من العزوف الخفي عن الذهاب إلى المدرسة، لم أكن قد وصلت سن العاشرة بعد، كنت اخرج كل صباح من بيت عمتي حاملا معي فطوري ولكن بدل الذهاب إلى المدرسة كنت أتوجه إلى منحدر قريب، حيث كان يقبع هيكل سيارة سقطت هناك منذ سنوات، وتستّر عليّ زملائي بإخبارهم المعلم بأنني مريض لكن فراري من المدرسة انكشف حين التقى المعلم صدفة بوالدي، وسأله إن كانت أحوالي الصحية قد تحسنت، لازلت أرى أبي وهو قادم إلى المنحدر يجر أحد زملائي من أذنه وهو يبكي، ليس بمقدوري أن استرجع الأسباب التي كانت وراء سلوكي آنذاك، ولكن من منا لم يحلم أن يكون قائدا لشيء ما، أظن أنني جبت أرجاء الدنيا في هيكل السيارة ذاك وأنا ممسك بحزم بما تبقى من المقود"**[7].

لم تخل مذكرات أحمد بن بلة (1916-2012م) من بعض المواقف المثيرة والطرائف، ومن ذلك حديثه عن الصعوبات المتعلقة بالإطعام والتواصل التي عايشها بعد فراره من الجزائر في أعقاب اكتشاف المنظمة الخاصة عام 1951م، وما تلاها من حملات مداهمة وتوقيفات، حيث تمكّن من اجتياز الحدود صوب فرنسا، وبعد إقامة قصيرة استقر به المقام في مصر سنة 1953م، وبأرض الكنانة يسرد علينا بعضا من تلك المواقف:" التحقت بمصر، كانت بداية الثورة تبدو شديدة الصعوبة، كذلك بدايتنا في القاهرة لم تكن اقل صعوبة، كنت أنا وأصدقائي آنذاك مجهولين تماما في مصر، وكنا نعيش في ظروف جد حرجة: إن الفول في مصر مثل الأرز في الصين، وخلال أربعة شهور كان الفول هو الوجبة الوحيدة التي نتناولها يوميا... ومع الثوريين المصريين كانت لنا في البداية بعض المصاعب منشؤها تباينا اللغوي، وما زلت أذكر أنه عندما كنت للمرة الأولى اعرض الوضعية في الجزائر على الجامعة العربية، كان لزاما عليّ أن أتحدث بالفرنسية، إن الفرنسية لغة رائعة بالتأكيد، ولكن استخدامها في مثل هذا المكان له مفعول الكارثة، أية فضيحة كانت بينما كنت أتحدث أمام إخوتي العرب، كنت أرى وجوههم تتشنج تحت تأثير الاندهاش، لقد كنت أتفهم مشاعرهم، ولكن **هل كانت لي حيلة أخرى في الأمر**[8]**؟**

ومن المواقف النادرة التي تحمل نكهة خاصة، ما سمعناه على لسان الكاتب الفلسطيني صلاح عوض، بمناسبة إلقائه تدخلا في إحدى الفعاليات العلمية الملتئمة بجامعة المسيلة، قبل زهاء عقد من الزمن، حيث ذكر في سياق معالجته لدور العلماء في مواجهة السياسة الفرنسية بالجزائر المستعمرة، بأن رائد النهضة الإمام عبد الحميد ابن باديس (1889-1940م)، قد صادف يوما بوسط مدينة قسنطينة أحد الشبان المخمورين يترنح

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يمينا وشمالا، ويصيح بأعلى صوته: تسقط فرنسا، تسقط فرنسا، فأثار ذلك ضحك الرجل، فعلّق قائلا: لولا أن الله قد أنزل فيها حكما صريحا(ويقصد الخمر)، لأفتيت بجواز شربها[9].

3. فكاهة ومواقف طريفة في قلب المواجهة الثورية

1.3. في معاقل الثورة بالأرياف والجبال

من الحقائق التاريخية الثابتة، أن ثورة التحرير قد اتسمت بطابع العنف وضراوة المواجهة على كافة المستويات، وتطلبت استعدادا استثنائيا للتضحية والصمود من قبل الشعب الجزائري، ورموزه القيادية، ووسط أجواء المعارك وحملات القمع الممنهجة، تفيدنا الشهادات والإشارات المبثوثة في متون عددا من الكتابات عن حضور الفكاهة والمزاح في يوميات المعركة، ففي مذكرات علي كافي (1928-2013م)، نعثر على تلك الأجواء المرحة التي صنعها سعد دحلب بعد عودته من مهمة بالشمال القسنطيني مبعوثا من عبان رمضان، استمرت ثلاثة أسابيع في أواخر عام 1955م، والتي كانت في سياق المشاورات المتعلقة بالإعداد لمؤتمر وطني للثورة، حيث ظلّ يلقي على المجاهدين بالعاصمة قصصا ونكتا مسلية بطريقة التقسيط لما شاهده لمدة أسبوعين، مشترطا على أن تكون كل قصة مقابل وجبة عشاء في بيت من البيوت[10]، كما تحدث كافي عن واقعة طريفة ترتبط بالصعوبات الجمّة التي كانت تعترض سير قوافل جبهة التحرير الوطني، ومحدودية وسائل النقل، حيث كان حيوان البغل الوسيلة المثالية لنقل السلاح والذخيرة، ولم يكن الحصول عليه بالمسألة المتاحة، فهو في الريف يعوض الشاحنة بالمدينة، ويتمتع بمكانة وحظوة لدى صاحبه، وقد لخّص مجرياتها كالآتي: "أتذكر حادثة طريفة وخطيرة كادت تؤدي بحياتي ومن معي والبغال المحملة بالأسلحة والذخيرة، فقد كنت على رأس قافلة تقود 27 بغلا محملا بالأسلحة والذخيرة، ويرافقني مجاهدون من بينهم محمد الصالح ميهوبي وأحد المسبلين، قدمنا من منطقة مكشوفة لنقطع منطقة أخرى أكثر عراء، حتى نصل إلى الجبل حيث مركز التخزين، وكان الطريق المسطر لذلك يبدأ من عرش العلمة قريبا من السمندو ومنه مرورا بطريق سكيكدة – عنابة إلى المركز المحدد، وعلى مشارف الحروش، فوجئنا ليلا بقافلة عسكرية للعدو، قادمة من قسنطينة متوجهة إلى سكيكدة، فما كان من الدليل أي المسبل، وبسرّ لا يعرفه ولا يقدر عليه إلا هو إلا أن بدأ يهمس إلى البغال بكلمات لا يفهمها إلا هو، فأنامها واحدا واحدا، وأبطحها أرضا على شعبة صغيرة، ونجت القافلة بأعجوبة[11].

وفي سياق استعمال الحيوانات كالبغال والحمير في المهام الثورية، يذكر المجاهد غمام محمد الهادي، الذي كان ينشط بالقاعدة الشرقية، مرابطا بجبل سيدي أحمد نواحي سوق أهراس واقعة طريفة دون أن يحدد زمنها: "**بينما نحن نقاتل في إحدى المعارك كثر علينا القصف بالطائرات، وأصبحت السماء تمطر علينا قنابلا، فحاول كل منا الاختباء، فلم أجد إلا بغلا واقفا فقمت بالاختباء تحته، وجعلت ظهري ملاصقا بطنه وأطرافي مع قوائمه، وبحمد الله لم يحرك البغل ساكنا، بل تسمّر في مكانه إلى أن زال خطر الطائرات الحربية، فخرجت من مخبئي سالما معافى، والتحقت بإخواني في المركز**"[12].

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ومن الشهادات التي وثقها الأجانب عن روح الدعابة والفكاهة التي ميزت يوميات جنود جيش التحرير الوطني فيما بينهم، أو في علاقتهم مع جماهير الشعب، ما رواه الصحفي اليوغسلافي زدرافكو بيكار[13]، الذي اجتاز الحدود قادما من تونس، حيث انضم إلى وحدات جيش التحرير للقيام بمهمته التوثيقية لمجريات المعركة الثورية، وبعد أن ذكر كيفية اختراق الحدود، أعطى وصفا لما شاهده على مستوى القرى والمداشر، واستعرض جانبا من حياة هؤلاء المجاهدين، حيث ذكر: "**يحب الجنود والضباط الجزائريون التمتع بالأفراح والمزح، تجدهم دائما مستعدين لسرد النكت، حكوا لي الكثير منها**"[14].

2.3. في الوسط الحضري إبّان إضراب الثمانية أيام 1957م

يعد إضراب الثمانية أيام الشهير الذي قررته قيادة الثورة محطة بارزة في خرط الوسط الحضري واستنفار الفئات الشعبية قاطبة في المعركة التحررية، فقد عاشت البلاد والجالية بالمهجر أطواره خلال الفترة الممتدة بين 28 جانفي إلى 04 فيفري 1957م، ورأى القيادي سعد دحلب (1919-2000م) بأن هذا الإضراب، قد عزف اللحن الجنائزي على الجزائر الفرنسية بأن ساعتها الأخيرة قد حانت، ووضع قادة الاحتلال في أكبر كمين لم ينصب قط من قبل لكل الوجود الفرنسي[15]، ووسط أجواء الرعب والإرهاب الاستثنائي الذي مارسته الإدارة الاستعمارية لمنع الجزائريين من تلبية نداء جبهة التحرير الوطني، سجل المعاصرون والدارسون العديد من المواقف الطريفة واللحظات الهزلية التي صاحبت ذلك فمن المناظر التي استوقفت أحد صحفيي جريدة " **التايم Time** " الذي كان يرافق الجنود الفرنسيين بحي القصبة، وأثارت فيه حالة من الضحك، لافتة ألصقها أحد التجار على باب متجره المغلق، وقد كتب عليها "**مصطفى بن عبد القادر توفي ولن يفتح دكانه حتى إشعار جديد**"، وهي عبارة تهكمية اعتبرها مراسل الصحيفة مزاحا رائعا يسود سكان يسيطر عليهم القلق والاضطراب[16].

حملت شهادة لويزة إيغيل أحريز (1936-ح 2023م) مشاهد متنوعة لحياة النضال والكفاح زمن الثورة على مستوى مدينة الجزائر، وفي سياق روايتها لوقائع العمل الفدائي والثوري، تنقل لنا بعض الصور عن وقائع إضراب الثمانية أيام، متحدثة عن بعض الأساليب التمويهية التي لجأت إليها العائلة لتجنب الوقع في فخ الاعتقال وإزالة الشبهات، ومن ذلك تقول: "**في خضم هول معركة الجزائر، كانت والدتي تتمظهر على الدوام بأنها حامل توشك أن تضع حملها في ساعات قريبة، لكن الحقيقة تقول إن بطنها المنتفخ المخفي تحت حايكها[17] الأبيض، كان يحمل كنوزا: أدوية، وثائق هامة، وأحيانا أسلحة...ولو لم تتم الوشاية بها، لما كان بمقدور السلطات الاستعمارية القبض عليها**"[18].

تروي المجاهدة زهرة ظريف بيطاط (1934-ح 2023م) في مذكراتها جانبا من المواقف الطريفة المحيطة بأجواء العمل الفدائي والثورة بمدينة الجزائر، وخصوصا بحي القصبة العتيق، ومن ذلك حديثها عن آليات التخفي والتنقل في شوارع وأزقة الحي المذكور بمناسبة إضراب الثمانية أيام، وما تلاه من حملات تفتيش ومداهمات، تحولت أثناءها العاصمة إلى ثكنة عسكرية كبرى، وفي هذا الصدد، تحدثت عن الأجواء التي

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

صاحبت لجوء علي لابوانت وياسف سعدي إلى لبس الحايك لغرض التخفي، حيث كتبت: "**في تلك الظروف، تقرر أن يرتدي ياسف وعلي حايك النساء كي يخفيا هويتهما على الأقل في عيون القصباجيين...وكانت محاولتي برفقة حسيبة لتثبيت الحايك على جسد علي الرياضي أضحكتنا رغما عنا، كانت تشنجاته تسلّينا، وقد رنّ المنزل بضحكاتنا ومشاجراتنا مع علي الذي أصرّ على أن يترك يديه وذراعيه حرة، كي يتمكن من استعمال سلاحه في حالة مصادفة دورية عسكرية، استنجدنا بخالتي زغلة التي تمكنت في نهاية المطاف من تثبيت الحايك وحل المشكل وسط قهقهاتها غير المألوفة، وتحفظها الشديد في التعامل مع الرجال الأجانب، ومع ذلك، وبرغم حذق خالتي زغلة، فإن المرأة التي يريد علي أن يتشبّه بها في نظر المارة كانت غريبة ومدهشة**"[19].

4. من داخل السجون والمعتقلات

لقد تحولت السجون والمعتقلات سواء منها تلك المستحدثة بالجزائر، أم ما كان منها داخل التراب الفرنسي زمن الثورة التحريرية إلى مراكز تدريب وتأهيل، وفضاءات للتكوين والتثقيف السياسي، حيث انصهرت في رحابها شرائح اجتماعية متمايزة فكريا وإقليميا، وفضلا عن العذابات المصاحبة لتقييد الحريات، ومحاولات المستعمر تدجين البعض أو على الأقل دفعهم إلى تغيير مواقفهم من الكفاح، فقد شهدت تلك الأوكار الكثير من صنوف التنكيت والمواقف الطريفة، وفي هذا المضمار، تحدث المناضل الشيوعي هنري علاق (1921-2013م) عن تجربته في السجون التي مر بها على غرار سجن بربروس بالجزائر، وسجن الصحة prison de la santé بباريس، الذي حوّل إليه في مطلع عام 1961م، قبل أن يستقر به المقام في سجن مدينة رانس Rennes الذي مكث به 16 شهرا، وبعد أن يصف ظروف الالتحاق وطبيعة المعاملة من لدن المكلفين بمراقبة المساجين، يورد مجموعة من الوقائع ذات الطابع الخاص في يوميات تلك الإقامة، ومن ذلك، ما تعلق بالخدمة التي توفرها إدارة السجن لنزلائها، بحيث تسمح لهم باقتناء ما يحتاجونه من لوازم ومأكولات، وفي هذا الصدد حصل الآتي: "**جاءني المراقب بالقائمة ومن بين العناوين يوجد اختيارات لأنواع الفاكهة، فذهبت عيني مباشرة إلى كلمة موز banane وأحسست برغبة ملحة إلى الأكل، فطلبت اثنتي عشرة موزة للأسبوع والمندوب يسجل رغباتي، وبعد أيام عاد محملا بالسلعة، وبعد أن وضع الكمية على الطاولة يلتفت إلى المراقب بوجه ساخر... وعندها فقط علمت أن تلك الحمولة بوزن 12 كيلوغراما من الموز كانت موجهة لي ولحظتها حاولت إفهامه أن هناك خطأ في التسجيل، لم يستجب، مرددا بلهجة قوية هنا الحساب بالكيلو: عندما يطلب الشيء لا يمكن تغييره، إنه النظام، فرأيت أنه من غير اللائق الاحتجاج وإثارة الصخب فواجهت الأمر من جانبه الايجابي وقلت: أنتم على حق، يجب دائما التفكير في الآخرين، اتركوا لي اثنتي عشرة موزة ووزعوا الباقي، ومن وقتها أصبحت أتمتع بشعبية كبيرة في السجن**"[20].

يصور المجاهد صالح بن القبي (حي 2023م)، تلك المشاعر التي اعترت عددا من المساجين الذين على الرغم من مشاركتهم الفعلية في الكفاح قبل خضوعهم للاعتقال، ثم مساهمتهم في استمرارية النضال خلف

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

القضبان، إلا أن البعض منهم كانوا يكيلون لأنفسهم ضروب الانتقاد والسخرية اللاذعة حيث اخذوا ينعتون أمثالهم بمجاهدي الصبة أي الحساء la soupe، بمعنى أولئك الذين يترقبون الأكل الممنوح من الإدارة، أو ما تحمله القفف التي ترسلها عائلاتهم[21].

تضمنت مذكرات عمر بوداود (1924-2020م) الإشارة إلى تلك الروح الأخوية ولحظات الفكاهة التي ميزت يوميات المساجين، ففي سجن بربروس حيث أخضع للاعتقال عام 1945م بسبب أنشطته النضالية ضمن حزب الشعب، يذكر مشاهد المزاح التي صنعها بعضا من زملائه المعتقلين يتقدمهم الفنان المسرحي حسن الحسني المدعو بوبقرة، وسعد دحلب، ومن طرائف هذا الأخير، ما وقع بينه وبين أحد رفاقه المسمى صافي، الذي لم يتقبل تواجده بالسجن، معتبرا أن دحلب قد أسهم في الأمر، ففي الوقت الذي كان يحدثه عن قرب الحرية والاستقلال، وجد نفسه وراء القضبان، فانزوى بركن في الزنزانة رافضا الحديث إلى صاحبه، وهما على تلك الحال، تلقى دحلب بوقالا[22] من العسل، فعرض على صديقه أن يتذوق كمية فرفض الحديث معه، ثم عاود الكرّة في اليوم الموالي دون جدوى، وفي اليوم الثالث وبحركة عفوية من دحلب لامس البوقال، فأنقلب وسالت منه كمية على الأرض، ولحظتها صاح صافي في وجهه: "**يا خي بوبخايس ياخي**"، فكانت اللقطة التي أعادت المياه إلى مجاريها حيث أن دحلب رد عليه بالقول: "**لو كان علابالي بلي كي نقلب البوقال تهدر معايا، لو كان راني طيحتو من قبل**"[23].

5. في المهام الدبلوماسية والإعلامية لقادة الثورة

1.5. في البلدان العربية والإسلامية

يصف أحمد توفيق المدني (1899-1983م) الكثير من المواقف الطريفة التي عايشها خلال تأدية مهامه الإعلامية والدبلوماسية بالعديد من البلدان العربية والإسلامية، بصفته ممثلا للوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، ومن ذلك، ما رواه عن واقعة حصلت له في لبنان التي زارها في شهر نوفمبر 1957م: "**زرت وزارة الخارجية المتآكلة، وإنني لعلى كرسي مما ترك آل موسى وهارون، وإذا بقطعة من جص السقف تهوي على أم راسي، لم تصبني بسوء كبير، إنما ألحقت بثيابي ضررا بالغا، ودخلت على الوزير العالم شارل مالك وأنا مكسو بلون الجص، قلت له: أترى أستاذي ما لحق بي في وزارتك ؟ ضحك وقال: دفع الله ما كان أعظم**"[24].

وفي الزيارة التي قادته إلى الباكستان شهر سبتمبر 1956م لعيادة الشيخ الإبراهيمي بالمستشفى يذكر المدني أنه وخلال تواجده بمعية المناضل أحمد بودا ممثل الجبهة هناك، وبعد الفراغ من زيارة الشيخ والاطمئنان على صحته، عاد إلى مقر الإقامة المخصص له وهو فندق آنتركونتينتال Intercontinental وهذا وصف لما عايشه عند تناول وجبة الغداء: "**عادت بي السيارة إلى الفندق حيث وجدت الأخ بودا ينتظرني بالقاعة، وجلسنا للطعام بردهة فاخرة، وما وضعت أول ملعقة من الحساء في فمي حتى أحسست بأن الأرض ارتجت، والأنوار انطفأت، والوجوه اسودّت، وبقيت على حال لم أره من قبل في حياتي، كان الحساء**

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

قد جمع كمية فظيعة مستهترة من التوابل المحرقة الكاوية حتى لكأنها النار، وأنهم لم يكتفوا بذلك، بل انهالوا على الصحون بوابل من القرفة ومن الفلفل الأسود وهو على حاله لم يدق، ومن مواد ملتهبة أخرى، وتساءل قائلا: ماذا، أخيل لهم أنهم عندما كانوا يهيئون صحون الطعام كانوا يصنعون القنبلة الذرية؟ فرغم الاحتراق ورغم الالتهاب ورغم الاكتواء ورغم العذاب الأليم، أكلت بل التهمت الطعام التهاما" [25].

2.5. في الصين

لقد شكلت جمهورية الصين وجهة إستراتيجية لتعزيز الحضور الدولي لجبهة التحرير الوطني حيث توافدت عليها وفود الثورة تباعا، لاسيما بعد الإعلان عن تشكيل الحكومة المؤقتة في 19 سبتمبر 1958م، واعتراف الصينيين بها، ولعل من تجليات هذا الاعتراف، ما حظيت به الوفود الجزائرية من استقبالات مميزة وتشريفات رسمية، كان في طليعتها قيام الجيش الصيني بعزف النشيد الوطني قسما وهي المرة الأولى التي يعزف فيها هذا النشيد من قبل جيش أجنبي في العالم، وقد حصل ذلك في شهر ديسمبر 1958م، خلال زيارة وفد ثلاثي بقيادة بن يوسف بن خدة وبمعية محمود الشريف، وسعد دحلب وقد روى الأخير الكثير من الطرائف والمواقف المضحكة التي حصلت بمناسبة تلك الزيارة التاريخية [26].

يقول دحلب: "**كنا في مأدبة عشاء عند وزير الدفاع الصيني الماريشال بن تاخاي كان الحديث حادا وجادا، فلم نكن نهمل أية كلمة من حديث الماريشال، حيث كان يروي لنا عن حرب كوريا، فقد كان هو قائد فرقة المتطوعين الصينيين، وقد أورد في كلامه: كان عندي مليون جندي، وفي الأخير رفع كأسه مناديا بانتصارنا، وصداقة شعبينا وسقوط الامبريالية، وختم كلامه متنهدا: للأسف، لو كانت عندنا حدود مشتركة مع الجزائر لبعثنا لكم بالكثير من المتطوعين**"، **وعلى اثر هذه الكلمة، صحت باللغة العربية الدارجة وقلت لبن خدة: حمدا لله أن هذا لم يكن، فالفرنسيون سيذهبون حتما يوما ما ولكن من يستطع إخراج الصينيين إذا ما انغرسوا عندنا، وكاد بن خدة أن يختنق ضحكا** "[27].

ولم تخل معالجات رضا مالك (1931-2017م) للأنشطة الثورية ومنها التحركات الدبلوماسية صوب الصين من هذا الأمر، فقد أشار إلى أن بكين قد استقبلت أربعة وفود رفيعة المستوى من قيادات الجبهة خلال الفترة الممتدة بين ديسمبر 1958م وسبتمبر 1960م، وقد أثار هذا التواصل الجزائري الصيني قلق المراقبين الغربيين، وفي خضم هذا التوجس يذكر حادثة تعكس هذا الأمر، حيث كتب: "**ولا أزال أذكر الصحافي الأمريكي بوروفيك Borowiec الذي كنت أرافقه إلى مكتب الرئيس فرحات عباس والذي سألني فجأة عندما صادف بن طوبال في الممر: إذا لم يكن هذا الشخص مستشارا صينيا. والواقع، أن مظهر وزير داخلية الحكومة المؤقتة يعزز مثل هذه الافتراضات**"[28]، ذلك أن الرجل قد روى بنفسه ما يدعم هذا الاعتقاد: "**أنه عندما وصل إلى بكين حيث كان يرافق فرحات عباس، كان الوحيد الذي لم يقدموا له باقة من الزهور المخصصة للوفود رفيعي المستوى، فقد اعتبره الرواد الشباب مواطنا صينيا** "[29].

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ومع البنطوباليات دائما، تحدث الأمين خان، في اتصال مع جريدة الشروق اليومي الجزائرية وهو يستذكر مناقب الرجل عشية تشييع جنازته بتاريخ 22 أوت 2010م، عن طرفة حصلت لهذا القائد الرمز بمناسبة زيارته جمهورية الصين مطلع ستينيات القرن الماضي، وملخصها، أن بن طوبال حينما أبلغ الصينيين بأن الجزائريين قد فقدوا مليون شهيد، تلقى هؤلاء الرقم باستخفاف، ولم يثر عواطفهم الأمر الذي دفعه إلى القول لهم بأن المليون في الجزائر يعادل 60 مليونا في الصين، بمقارنة سكان البلدين وهو ما اندهش له عندئذ أبناء ماو تسي تونغ[30].

3.5. في الاتحاد السوفياتي

ومن المواقف الطريفة التي جابهت الوفد الثلاثي المكون من بن خدة ودحلب ومحمود الشريف توقف الطائرة المقلة لهم من بكين إلى موسكو اضطراريا في مطار أومساك بسيبيريا بسبب رداءة الأحوال الجوية، حيث قضت المجموعة ثلاثة أيام، واجهت خلالها مناخا قاسيا، فدرجة الحرارة نزلت إلى حدود 44 درجة تحت الصفر، كما وجدت إشكالا في التواصل اللغوي، فلم يكن أحد منهم يعرف التحدث باللغة الروسية، وفي ذلك يكتب دحلب: "**تم إيواؤنا في نزل المطار...لم يكن ولو روسي واحد يتكلم لغة غير لغته، وكنا كل ساعة نسمع خطى مضيفة روسية تمر، ولعدم معرفتنا ولو لكلمة واحدة من الروسية، كنا كلما مرّت علينا نقول: موسكو – موسكو**"[31].

ومن اللحظات التي اكتست متعة خاصة، ما تعلق بنوعية الوجبات المقدمة على مستوى مطعم المطار، حيث كان فيها لحم الخنزير سيد الأطباق، وبحسب دحلب، فقد اجتهد بن خدة في محاولة التخلص من تلك القطع وإبعادها، ثم اهتدى إلى مخرج لتفادي إحضارها مستقبلا، فكان هذا الموقف: "**عثر بن خدة على الحل، فرسم بكل عناية أنف خنزير وعرضه على الخادم موصيا إياه بأن لا يقدم لنا هذا النوع من اللحم مرة أخرى، لم يبحث الخادم عن المزيد من الشرح وكأنه فهم كل شيء، وقفز مهرولا نحو المطبخ، وما هي إلا لحظة حتى عاد مسرعا ومقدما لنا نصف رأس خنزير كان جاهزا، ومنذ ذلك التاريخ، وكلما استعصى عليّ التعبير، كنت أطلب من بن خدة أن يتحفنا برسم**"[32].

خاتمة

في ختام هذه الورقة المتواضعة سجلنا الآتي:

- أن طبيعة المهام النضالية وقساوة المواجهة الثورية لم تمنع قادة الحركة الوطنية وثورة التحرير من خلق لحظات للمتعة وتلطيف الأجواء، تمت في كنف الالتزام التام ودون الإخلال بقواعد الانضباط النضالي، أو الصرامة الثورية.
- أن محدودية القطوف التي تمكنا من رصدها، والإشارات الهامشية التي وردت في مذكرات وشهادات المعاصرين، لا تعكس مطلقا غياب تلك الجوانب الإنسانية في يوميات هؤلاء، وإنما قد يعزى ذلك إلى الجو

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

العام الذي رافق عمليات الكتابة والتأليف واستجماع الذاكرة، حيث التركيز انصب على إظهار الملاحم النضالية، وصلابة المواجهة مع الكولونيالية.

- أن الخوض في هذا الحقل لا يمثل ترفا فكريا أو ضربا من الشطط، وإنما يصب في خانة إبراز طبيعة العلائق والتفاعلات المتنوعة للجزائري، وهي الزوايا التي لم تحظ بالدراسات وينبغي الالتفات إليها.
- أنه يتعين الحفر والتنقيب أكثر في المخزونات الأرشيفية، واستنطاق ما بقي من الذاكرة الشفوية، لاستغلال هذا الرافد الحيوي، الذي يشكل مشهدا من لوحة المقاومة لشعب توصل إلى صناعة ما يشبه المعجزة التاريخية.

الهوامش:

1 – إبراهيم القادري بوتشيش، "**النكتة مصدرا تاريخيا: هل يساهم النص المضحك في كتابة التاريخ العربي؟**"، مجلة أسطور، العدد 13، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، يناير 2021، ص 217.

2 – سمية علي الناصر الخصاونة، **أدب الفكاهة عند العرب من خلال الكتب المؤلفة**، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، تخصص أدب ونقد، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، الأردن، 2006، ص 6.

3 – المرجع نفسه، ص 17.

4 – إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 218.

5 – المرجع نفسه، ص 221.

6 – مالك بن نبي، **مذكرات شاهد للقرن**، ط2، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، 1984، ص ص 26–27.

7 – حسين أيت أحمد، **روح الاستقلال: مذكرات مكافح 1942–1952**، ترجمة سعيد جعفر، منشورات البرزخ 2002، ص 23.

8 – أحمد بن بلة، **مذكرات أحمد بن بلة**، ترجمة العفيف الأخضر، منشورات دار الآداب، بيروت، د.ت، ص 94.

9 – لقد سعينا عبر ما توفر لنا من منشورات تتعلق بالجمعية لتوثيق هذه الرواية، غير أن نتائج البحث لم تسفر عن شيء، وقد تواصلنا هاتفيا بتاريخ 2024/05/04م مع الأستاذ محمد الهادي الحسني صاحب الاهتمامات البحثية بالحركة الإصلاحية والفكر الباديسي، حيث أبلغنا بأنه لم يسمع شيئا من ذلك من لدن تلامذة الجمعية الذين جالسهم ولم يصادف في أدبياتها هذه الواقعة، ومن ثمة لا يمكننا في الوقت الراهن نفي الرواية أو تأكيدها.

10 – علي كافي، **مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946–1962**، ط2، دار القصبة للنشر الجزائر، 2011، ص 124.

11 – المصدر السابق، ص ص 104–105.

12 – الجباري عثماني، "**كرامات ربانية في كفاح الأمة الجزائرية خلال الثورة التحريرية**"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد 02، العدد 01، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، جوان 2018، ص ص 156–157.

13 – **زدرافكو بيكار** Zdravko Pecar 1922–1993م: كاتب وصحفي يوغسلافي، اشتغل مراسلا حربيا لصحيفة Borba، حيث أنجز تقارير مصورة عن يوميات الكفاح الجزائري، صدر له عام 1958م كتابا بعنوان: Algérie: Témoignage d'un reporter yougoslave sur la guerre d'Algérie.، وقد لقي صدى قويا ومؤثرا في الرأي العام لبلاده، قال عنه الضابط البريطاني بازيل دافيدسون Basil Davidson، وهو مؤلف العديد من الكتب حول التحرر في إفريقيا، بأنه أفضل عمل صدر في وقته حول الثورة الجزائرية. ينظر: https://www.iqrashop.com/Algerie-Temoignage-d-un-reporter-yougoslave-sur-la-guerre-d-Algerie-Zdravko-Pecar-Livre-livres-Histoire-civilisations-p15122-26.html

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

14 – زدرافكو بيكار: **شهادة صحافي يوغسلافي عن حرب الجزائر**، ترجمة فتحي سعيدي، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 96.

15 – سعد دحلب، **المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر**، منشورات دحلب، الجزائر، 2007م، ص ص 61-64.

16 – Jacques Le Prevost, La Bataille d'Alger (Janvier – Février 1957) , Editions Baconnier, Alger, 1957, p 54.

17 – **الحايك** : عبارة عن قطعة من القماش الأبيض تغطي سائر جسد المرأة من الرأس إلى الرجلين، وفي القاموس العربي، فإن أصل التسمية يعود إلى الفعل "**حاك، يحيك، حياكة**" ومنه الحايك أي الثوب المحيك بمعنى المنسوج، ويعد أيقونة المرأة الجزائرية منذ العهد العثماني، وقد تحدث عنه الإسباني دييغو دي هايدو الذي وقع في الأسر بمدينة الجزائر بين 1578م –1581م، في كتابه (Alger Topographie et Histoire Générale)، الذي نشر في عام 1612م، حيث كتب في إحدى صفحاته معلقاً بأن نساء البهجة "كن يخرجن في الشوارع على درجة من السترة، حتى إن أزواجهن يعجزون عن معرفة هوياتهن"، وقد اعتبر زمن ثورة أول نوفمبر وسيلة تمويه فعالة لتجاوز حالة الحصار وحمل الأسلحة الخفيفة والمتفجرات. ينظر موقع: https://www.independentarabia.com/node/376061/

18 – لويزة إيغيل أحريز، **جزائرية**، ترجمة عبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2015، ص 78.

19 – زهرة ظريف، **مذكرات مجاهدة من جيش التحرير الوطني**، ترجمة محمد ساري، منشورات الشهاب، الجزائر 2014، ص ص 440-441.

20 – هنري علاق، **مذكرات جزائرية ذكريات الكفاح والآمال**، ترجمة جناح مسعود وعبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر، الجزائر 2007، ص ص 306-308.

21 – صالح بن القبي، **عهد لا عهد مثله**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004، ص 190.

22 – **البوقال**: وعاء أو جرة من طين، ليس له غطاء، يخصص للماء أو العصير أو اللبن وغيره يصبّ منه إلى الكؤوس، وقد يشرب منه مباشرة، ويرى البعض، أن أصل الكلمة إغريقي، وانتقلت إلى اللاتينية Baucalis، وهي تعني الجرار الطينية لحفظ الشراب باردا. ينظر: https://amsebrid.wordpress.com/2015/01/10

23 – عمر بوداود، **من حزب الشعب الجزائري الى جبهة التحرير الوطني: مذكرات مناضل**، ترجمة أحمد بن محمد بكلي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 44.

24 – أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1988، ص ص 354-355.

25 – المصدر نفسه، ص ص 204-205.

26 – سعد دحلب، المصدر السابق، ص 85.

27 – سعد دحلب، المصدر السابق، ص 90.

28– رضا مالك، **الجزائر في إيفيان تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962**، ترجمة فارس غصوب، ط1، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2003، ص ص 82-83..

29 – المصدر نفسه، ص 83.

30– جريدة الشروق الجزائرية، "**رحيل آخر صقور الثورة التحريرية وصندوق سرها**"، 2010/08/22م، موقع: https://www.echoroukonline.com، تاريخ الاطلاع 2023/03/05م.

31 – سعد دحلب، المصدر السابق، ص ص 96-97.

قائمة المراجع:

1. حسين، أيت أحمد (2002)، **روح الاستقلال: مذكرات مكافح 1942-1952**، الجزائر، منشورات البرزخ.
2. أحريز إيغيل، لويزة (2015)، **جزائرية، الجزائر**، دار القصبة للنشر.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

3. بن بلة، أحمد، (د.ت)، **مذكرات أحمد بن بلة**، بيروت، منشورات دار الآداب.
4. بن نبي، مالك، (1984)، **مذكرات شاهد للقرن**، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.
5. بوداود، عمر، (2007)، **من حزب الشعب الجزائري الى جبهة التحرير الوطني: مذكرات مناضل**، الجزائر، دار القصبة للنشر.
6. بن القبي، صالح، (2004)، **عهد لا عهد مثله**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
7. بيكار، زدرافكو، (2011)، **الجزائر: شهادة صحافي يوغسلافي عن حرب الجزائر**، الجزائر، موفم للنشر.
8. دحلب، سعد، (2007)، **المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر**، الجزائر، منشورات دحلب.
9. مالك، رضا، (2003)، **الجزائر في إيفيان تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار.
10. المدني، أحمد توفيق، (1988)، **حياة كفاح**، ج3، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
11. ظريف، زهرة، (2014)، **مذكرات مجاهدة من جيش التحرير الوطني**، الجزائر، منشورات الشهاب.
12. علاق، هنري، (2007)، **مذكرات جزائرية ذكريات الكفاح والآمال**، الجزائر، دار القصبة للنشر.
13. كافي، علي، (2011)، **مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962**، الجزائر، دار القصبة للنشر.
14. Jacques Le Prevost, La Bataille d'Alger ,(1957), Alger,Editions Baconnier.
15. الخصاونة علي الناصر، سمية، (2006)، **أدب الفكاهة عند العرب من خلال الكتب المؤلفة**، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن.
16. بوتشيش، إبراهيم القادري، (2021) " **النكتة مصدرا تاريخيا: هل يساهم النص المضحك في كتابة التاريخ العربي؟**"، مجلة أسطور، العدد 13، ص 216-240.
17. عثماني، الجباري، (2018)" **كرامات ربانية في كفاح الأمة الجزائرية خلال الثورة التحريرية**"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 02، ص 145-167.
18. عويمر، إيمان، (2022)، **الحايك ثوب تراثي عاصر النساء في الجزائر**، موقع: https://www.independentarabia.com/node/376061/ ، تاريخ الاطلاع 2023/12/16.
19. جريدة الشروق الجزائرية، (2010)، "**رحيل آخر صقور الثورة التحريرية وصندوق سرها**"، موقع: https://www.echoroukonline.com، تاريخ الاطلاع 2024/01/05م.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)